الفصل الثالث
تعاهد القرآن وعدم هجره

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠].

الحديث الأول: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ القُرْآنِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ المُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ**»(١).

قال ابن حجر رحمه الله: «قوله: «**إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ القُرْآنِ**» أي مع القرآن، والمراد بالصاحب الذي ألفه، قال عياض: المؤالفة المصاحبة، وهو كقوله أصحاب الجنة، وقوله ألفه: أي ألف تلاوته وهو أعم من أن يألفها نظرًا من المصحف أو عن ظهر قلب فإن الذي يداوم على ذلك يذل له لسانه ويسهل عليه قراءته فإذا هجره ثقلت عليه القراءة وشقت عليه. وقوله: «**إِنَّمَا**» يقتضي الحصر على الراجح لكنه حصر مخصوص بالنسبة إلى الحفظ والنسيان بالتلاوة والترك. قوله: «**كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ المُعَقَّلَةِ**» أي مع الإبل المعقَّلة. المعقَّلة بضم الميم وفتح العين وتشديد القاف أي المشدودة بالعقال وهو الحبل الذي يشد في ركبة البعير، فشبه درس القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير الذي يخشى منه الشراد فما زال التعاهد موجودا فالحفظ موجود كما أن البعير ما دام مشدودا بالعقال فهو محفوظ، وخص الإبل بالذكر لأنها أشد الحيوان الإنسي نفورًا وفي تحصيلها بعد استمكان نفورها صعوبة. قوله: «**إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا**» أي استمر إمساكه لها. قوله: «**وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ**» أي انفلتت»(٢).

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦/ ٥٠٣١)، ومسلم (١/ ٧٨٩). وغيرهما.

(٢) «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، لابن حجر (٩/ ٨٠).

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الحديث فيه الحث على تعاهد القرآن وتلاوته والحذر من تعريضه للنسيان»[١].

الحديث الثاني: وعَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ نُسِّيَ وَاسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ**»[٢].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «"**بِئْسَ**" هي أخت نِعْمَ فالأولى للذم والأخرى للمدح»[٣].

«"**كَيْتَ وَكَيْتَ**": لفظ يعبر به عن الجمل الكثيرة والكلام الطويل. "**نُسِّيَ**": عوقب بالنسيان لتفريطه في تلاوته ودراسته. "**وَاسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ**": واظبوا على تلاوته وتذاكروه. "**تَفَصِّيًا**": تخلصًا وانفلاتًا. "**النَّعَمِ**": الإبل»[٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي هذا الحديث دليل على أن حصول النسيان للشخص ليس بنقص له، إذا كان بعد الاجتهاد والحرص.

وفي حديث ابن مسعود أدبٌ في التعبير عن حصول ذلك، فلا يقول: نسيت كذا، فإن النسيان ليس من فعل العبد، وقد تَصْدُرُ عنه أسبابه؛ من التناسي والتغافل والتهاون المفضي إلى ذلك، فأما النسيان نفسه فليس بفعله، ولهذا قال: بل هو نُسِّيَ؛ مَبْنِيٌّ لما لم يُسَمَّ فاعلُه، وأدب أيضًا في ترك إضافة ذلك إلى الله تعالى، وقد أسند النسيان إلى العبد في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤]، وهو -والله أعلم- من باب المجاز الشائع بذكر المسَبَّبِ وإرادة السبب؛ لأن النسيان إنما يكون عن سبب قد يكون ذنبا، فأمر

---

(١) «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، لابن حجر (٩/ ٨٠).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦/ ٥٠٣٢).

(٣) «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، لابن حجر (٩/ ٨٠).

(٤) شرح وتعليق د. مصطفى البغا على صحيح البخاري (٦/ ٥٠٣٢).

الله تعالى بذكره؛ ليذهب الشيطان عن القلب، كما يذهب عند النداء بالأذان، والحسنة تذهب السيئة، فإذا زال السبب للنسيان؛ انزاح فحصل الذكر للشيء بسبب ذكر الله تعالى، والله أعلم»[(١)].

الحديث الثالث: وعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**تَعَاهَدُوا القُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا**»[(٢)].

«ويسن ختمه في كل أسبوع لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «فَاقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ وَلاَ تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ»[(٣)].

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان أبي يختم القرآن في النهار في كل أسبوع، يقرأ كل يوم سبعا لا يكاد يتركه نظرا لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «اقرأه في كل سبع»[(٤)]. وإن قرأ في ثلاث فحسن، لما ورد عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قلت: يا رسول الله، إن لي قوة، قال: «اقرأ في كل ثلاث»[(٥)]. ولا بأس فيما دونها أحيانًا، وفي الأوقات الفاضلة كرمضان، خصوصًا الليالي التي تطلب فيها ليلة القدر.

وينبغي لقارئ القرآن أن يتعهده بالحفظ والمداومة على تلاوته، وليحذر كل الحذر من هجرانه وترك التعهد له، فيتعرض بذلك لنسيانه وترك العمل به الذي هو من أعظم الذنوب على منخره في النار»[(٦)].

---

(١) «فضائل القرآن» لابن كثير ص[٢٣٠].

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦/ ٥٠٣٣).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦ / ٥٠٥٤)، مسلم (٢ / ١١٥٩).

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦ / ٥٠٥٤)، مسلم (٢ / ١١٥٩).

(٥) صحيح: أخرجه أبو داود (٢/ ١٣٩٠). وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» برقم [١٣٩٠].

(٦) «موارد الظمآن لدروس الزمان»، للشيخ عبد العزيز السلمان (١/ ٤٩٧)، ط: ١٤٢٤ هـ.

«ويتأكد هذا التعاهد والتصحيح في حق من يحتاج إلى حفظه كالمفتي، والعالم، وإمام الصلاة، حيث يلحظ أن بعض الأئمة لا يتعاهدون حفظهم أو يقرأون آيات لم يحفظوها جيدًا مما يدعو المأمومين إلى الفتح عليهم، وربما أكثر من مرة، وقد لا يوجد من المأمومين من يستطيع الفتح فيحصل شيء من التشويش، والإرباك، كما هو مشاهد»[١].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠].

وهجر القرآن له جانبان: **أحدهما** يتعلّق بالقرآن دون أخذ له، وهذا صنيع الكفّار والمنافقين، **والآخر** يتعلّق به بعد الإقرار بأنّه كلام الله الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا صنيع بعض المسلمين الّذين لا يقرأون القرآن، أو يقرأونه لا يجاوز حناجرهم، فلا يعملون به، ومن هؤلاء صنف يحفظ القرآن أو شيئًا منه ثمّ يهجر القراءة حتّى ينسى ما قد يكون حفظه منه. وعلى ذلك فإنّ هجر القرآن: هو الإعراض عنه أو اللّغو فيه والقول فيه بغير الحقّ كالزّعم بأنّه سحر أو شعر ونحو ذلك من سيّئ القول وترك تلاوته أو العمل به أو نسيانه بعد الحفظ»[٢].

مظاهر هجر القرآن[٣]:

لهجر القرآن مظاهر عديدة منها:

١- القول فيه بغير الحقّ، وهذا صنيع الكفّار الّذين حكى عنهم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠].

قال القرطبيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي قالوا فيه غير الحقّ من أنّه سحر أو شعر[٤].

(١) «مجلة البحوث الإسلامية» - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (٧٨/ ١٧٩).

(٢) «موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم»، لعدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي (١١/ ٥٦٩١).

(٣) «موسوعة نضرة النعيم» (١١/ ٥٦٩١).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١ / ١٣).

وقال الطّبريّ رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني قولهم فيه السّيّئ من القول، فقالوا غير الحقّ[١].

٢- الإعراض عن القرآن واللّغو فيه.

قال الطّبريّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وذلك أنّ الله أخبر عنهم بأنّهم قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت:٢٦]. وذلك هجرهم إيّاه[٢].

٣- ترك تلاوة القرآن بالكلّيّة، وهذا المعنى قد أورده القرطبيّ في تفسير الآية الكريمة السّابقة عندما ذكر: وقيل معنى مهجورًا: متروكًا.

٤- نسيان القرآن بعد حفظه، وإلى هذا المعنى أشارت الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه:١٢٤-١٢٦].

٥- ترك العمل بالقرآن، ودليل ذلك ما رواه عَبْدُ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ إِمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ»[٣].

ومعنى أن يجعل الإنسان القرآن خلفه أن يهمل تلاوته أو العمل به.

«ومعنى: (وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ): مَحَلَ بِهِ، إِذَا سَعَى بِهِ. وَفِي الدُّعَاءِ: «لَا تَجْعَلِ الْقُرْآنَ بِنَا مَاحِلًا»، أَيْ لَا تَجْعَلْهُ يَشْهَدُ عِنْدَكَ عَلَيْنَا بِتَرْكِنَا اتِّبَاعَهُ، أَيِ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَتَّبِعُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ»[٤].

---

(١) تفسير الطبري (١ / ١٦٢).
(٢) تفسير الطبري (١ / ١٦٢).
(٣) صحيح: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٩/ ٨٦٥٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ١٨٥٥). وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٤٤٤٠].
(٤) «معجم مقاييس اللغة»، لأحمد بن فارس (٥/ ٣٠٢).

وقال ابن الأثير في معنى: (وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ) أَيْ: خَصْمٌ مجادَل مصدَّق. وَقِيلَ: ساعٍ مُصدَّق، مِنْ قَوْلِهِمْ: مَحَلَ بِفُلان، إِذَا سَعَى بِهِ إِلَى السُّلْطَانِ. يَعْنِي أَنَّ مَنِ اتَّبعه وعَمِل بِمَا فِيهِ فَإِنَّهُ شافِعٌ لَهُ مَقْبول الشَّفاعة، ومصدَّق عَلَيْهِ فِيمَا يُرْفَع مِن مَساوِيه إِذَا تَرك العَمَلَ بِهِ»[1].

أنواع هجر القرآن[2]:

١- هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

٢- هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به.

٣- هجر تحكيمه والتّحاكم إليه في أصول الدّين وفروعه، واعتقاد أنّه لا يفيد اليقين وأنّ أدلّته لفظيّة لا تحصّل العلم.

٤- هجر تدبّره وتفهّمه ومعرفة ما أراد المتكلّم به منه.

٥- هجر الاستشفاء والتّداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التّداوي به، وكلّ هذا داخل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان:٣٠] وإن كان بعض الهجر أهون من بعض.

حكم هجر القرآن:

قلت: قد عدّ ابن حجر الهيتمي نسيان القرآن كبيرة من كبائر الذنوب تستوجب التوبة فقال: «الْكَبِيرَةُ الثَّامِنَةُ وَالسِّتُّونَ: نِسْيَانُ الْقُرْآنِ أَوْ آيَةٍ مِنْهُ بَلْ أَوْ حَرْفٍ»[3].

---

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لابن الأثير (٤/ ٣٠٣).

(٢) «الفوائد» لابن القيم.

(٣) «معجم مقاييس اللغة»، لأحمد بن فارس (٥/ ٣٠٢)، ط: دار الفكر (١٩٧٩م.)

ثم فصّل بعد ذلك تفصيلات ملخصها: «يختلف حكم هجر القرآن باختلاف نوع الهجر، فإن كان الهجر بالإعراض عنه واللّغو فيه فهذا كفر صراح، وإن كان الهجر بمعنى التّرك المؤدّي إلى النّسيان بعد الحفظ فقد ذكر ابن حجر الهيتمي أنّه من الكبائر، وقال بأنّ ذلك هو ما ذهب إليه الرّافعيّ وغيره، ونقل عن بعض العلماء أنّ محلّ كون نسيان القرآن كبيرة عند من قال به مشروط بأن يكون عن تكاسل وتهاون، وهذا احتراز عمّا لو اشتغل عنه بمرض مانع من القراءة، وعدم التّأثيم بالنّسيان حينئذ واضح، لأنّه مغلوب عليه لا اختيار له فيه.

أمّا إذا كان الهجر متعلّقًا بعدم العمل به فذلك معصية يتوقّف كونها كبيرة أو صغيرة على نوع المخالفة ذاتها، وأمّا إذا كان الهجر بمعنى ترك التّلاوة، فإن كان يقدر عليها ولم يفعل فهو كالبيت الخرب وإن لم يكن قادرًا فإنّ الله لا يكلّف نفسا إلّا وسعها، هذا إلّا فيما تصحّ به صلاته فإنّه واجب على كلّ مسلم ولا يجوز تركه بحال»[1].

❁ ❁ ❁

(١) «موسوعة نضرة النعيم» (١١/ ٥٦٩١). والزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي.

obeikandl.com